الإقتباس و الإستشهاد بألفاظ ومفردات القرآن الكريم في الكلام المنثور لابن المجاور البغدادي النيسابوري في كتابه: تاريخ المستبصر.

الأستاذ المتمرس الدكتور
محمد كريم إبراهيم الشمري

الخلاصة:

يهدف هذا البحث الى توضيح أسلوب متميز وفريد من أساليب الكتابة والتأليف في تراثنا العربي –الاسلامي، التي تفرد بها كتاب: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسماة: (تاريخ المستبصر)، لإبن المجاور البغدادي النيسابوري، المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، وهو إدخال ألفاظ ومفردات من القرآن الكريـــم في الكلام النثري، عند عرض الحكايـــات والروايات والقصص والأخبار التي سجلها في كتابه، سواء تلك المنقولة من المصادر وأفواه الرواة والمُحدثين، او ربما أن ابن المجاور هو الذي أدخل تلك الألفاظ والمفردات القرآنية في صياغته لتلك الحكايات والروايات والقصص عند توثيقها وتدوينها، وهي عموماً تمثل لوناً من ألوان الكتابة النثرية التي تأثرت بألفاظ ومفردات القرآن الكريم، فضلاً عن الإقتباس منه؛ بهدف العبرة والدرس والموعظة، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يوسف: ١١١].

المؤلف والكتاب:

يُنسب تأليف كتاب: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسماة: تاريخ المستبصر، خطأً الى جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الشيباني الدمشقي المتوفى عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، والمرجح ان مؤلفه الصحيح هو: أبو بكر بن محمد بن مسعود بن علي (المجاور) بن أحمد البغدادي النيسابوري، المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م.

يزخر كتاب تاريخ المستبصر بثروة علمية متنوعة، لغوية وأدبية واقتصادية واجتماعية، تدل على ثقافته الواسعة وبُعد نظره وطول باعه، من خلال تنوع معلوماته وغزارتها وتوزيعها على معلومات تاريخية وجغرافية وأثنوغرافية واقتصادية، فضلاً عن رصده كثيراً من ظواهر الحياة المتنوعة في بلاد اليمن خصوصاً، وبلاد الحجاز والهند والديبول وجاوة وغيرها من البلدان التي زارها وسجّل لنا ملاحظاته عنها، فكان شاهد عيان معاصر مدققاً لكثير من شؤون الحياة، ونستدل من ذلك انه كان تاجراً يمتلك مركباً بحرياً، طاف كثيراً من البلدان وزودنا بمعلومات وافية عنها، وسجل لنا رواته ومحدثيه وأماكن لقاءاته بهم في متن كتابه.

سيكون منهجنا في هذا البحث ذكر النصوص التي وردت فيها ألفاظ ومفردات القرآن الكريم في الكلام المنثور لابن المجاور البغدادي النيسابوري، من خلال حديثه أو روايته حكاية أو قصة أو حادثة ما، ووضع خطوط تحت ألفاظ ومُفردات القرآن الكريم، ثُمّ نقوم بتخريج الآية القرآنية كاملة التي تضمنت المفردة واللفظ القرآني الوارد في كلام ابن المجاور النثري وتوثيقها في المتن ثُمّ في الهامش، وعرض تلك الحكايات والقصص و الروايات وفق تسلسل ذكرها في كتاب: صفة بلاد اليمن... (تاريخ المستبصر)، على شكل فقرات مرقمة بالتسلسل.

(١)

قال ابن المجاور[١] في افتتاح كتابه-بعد البسملة -: ((الحمد لله الذي رفع السماء

(١) أبو بكر بن محمد بن مسعود بن علي (المجاور) بن أحمد البغدادي النيسابوري. صفة بلاد اليمن

عبرة للناظرين، وبسط الأرض وجعل فيها آيات للموقنين، وأودع في اختلاف الألسن والألـوان، باختلاف الأقاليم والبلدان، بصائر المستبصرين)).

بدأ ابن المجاور مقدمة كتابه البليغة هذه بحمد الله والثناء عليـه، وضَمّنها آيات مباركات من القرآن الكريم، توحي باختيار عنوان كتابه: تاريخ المستبصر، ففي النص قالَ: ((رفع السماء عبرة للناظرين))، مصداقاً لقولـــه تعالى في كتابه العزيز، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾[سورة الحجر: ١٦]، وقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا ﴾ [سورة ق: ٦] وفي قول ابن المجاور –عن الارض–: ((وجعل فيها آيات للموقنين))، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾[٣].

أما قول ابن المجاور: ((وأودع في اختلاف الألســن والألـوان، باختلاف الأقاليم والبلدان، بصائر المستبصرين))، فلعلّه سبب اختيار عنوان كتابه: تاريخ المستبصر، تأسياً بقوله تعـــالى في العديد من الآيات القرآنية الكريمـــة، حول لفظ ومصطلح ومعنى المستبصر ومفرداتهـــا، مثل: الأبصار، والبصائر، من ذلك قوله عزّ وَ جَل ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[سورة الأنعام: ١٠٣-١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[سورة العنكبوت: ٣٨]، كما وردت كلمة (بصائر) في العديد من الآيات القرآنية الكريمة[٤]، مما يوضح ان المؤلف استوحى فكرة إختيار و تحديد عنوان

ومكة وبعض الحجاز، المسماة: تاريخ المستبصر، القسم ١ -٢، اعتنى بتصحيحها وضبطهـــا: أوسكر لوفغرين، مطبعة بريل، (ليدن، ١٩٥١، ١٩٥٤م)، ص ١.

وصدرت طبعـة ثانية هي صورة طبق الأصل للطبعة الأولى، ليس فيها تغيير باستثناء غلاف الكتاب فقط!. منشورات المدينة، توزيع شركة دار التنوير للطباعة والنشر، (بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).

(٢) [سورة الرحمن: ٧]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ [سورة الغاشية: ١٧-١٨].

(٣) [سور الذاريات: ٢٠]، راجع أيضاً: [سور الشعراء: ٢٤]، [سور الدخان: ٧].

(٤) [سور الأعراف: ٢٠٣]، [سور الاسراء: ١٠٢]، [سور القصص: ٤٣]، [سور الجاثية: ٢٠].

كتابه مما ورد في القرآن الكريم حول مفردة المستبصر، وجمعها: المستبصرين، أي أصحاب العقول والإدراك والفَهم، فضلاً عن مشتقات ومرادفات هذه المفردة -كما ذكرنا، مثل: الأبصار، البصائر... لذلك ضمَّنَ ابن المجاور مقدمته ثلاثة ألفاظ ومفردات من القرآن الكريم، كما يتضح جلياً من تخريجنا لها في الآيات القرآنية الكريمة.

(٢)

في حديث ابن المجاور[٥] عن اشتقاق اسم مكة، ذكرأن مكة سميت بهذا الاسم لأربعة أقوال، أحدها أنها مسافة يأتوها الناس من كل فج عميق، فكأنها هي التي تجذبهم إليها.

وفي قول ابن المجاور حول اشتقاق إسم مكة إقتباس لما ورد عنها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[٦]، ومازال الناس -الى يومنا هذا -يأتون الى مكة لأداء فريضة الحج، فضلاً عن العمرة إلى بيت الله الحرام فيها، من كل أصقاع الأرض القريبة منها والبعيدة عنها، فكأنها (مكة) أصبحت عامل جذبٍ واستقطاب لهم الى هذه الأرض المقدسة، وهي ظاهرة خير مستمرة طوال أيام العام.

(٣)

تحدث ابن المجاور[٧] عن قصة حياة قسي بن منبه، الذي اشتهر فيما بعد باسم: ثقيف، واقترن اسمه ببناء مدينة الطائف، مشيراً الى افتراقه عن النخع، وهما (النخع وثقيف) رجُلان من قبيلة إياد بن نزار، فاتجه ثقيف الى موضع قريب من الطائف ونزل فيه، فاذا هو بجارية حبشية ترعى مائة شاة لمولاها، فأسَرَّ طمعاً فيها، أي أضمر (أخفى) أمراً تجاهها في داخله، وقال: ((أقتلها وآخذ الغنم!.))، ويبدو أن الجارية أدركت نواياه تجاهها، فقالت له: ((ياهذا كأنك طمعت نفسك أن تقتلني وتأخذ غنمي))، فأجابها:

(٥) تاريخ المستبصر ص ٢ -٣.

(٦) [سور الحج: ٢٧]، راجع الإحالات: ٣٠-٣١، ٦٤ -٦٥ وهوامشها من بحثنا هذا.

(٧) تاريخ المستبصر ص ١٨ -٢٠.

نعم؛ لذا حذرته الجارية من مغبة عمله هذا ونصحته بالذهاب الى مولاها عامر بن الظَرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر، وهو سيد أهل ذلك الوادي، وطلب المساعدة منه، وفعلاً ذهب ذلك الرجل إليه فأكرمه وزوّجه من ابنته، فولدت له: عوف ودارس وسلامة ، وأقام بالطائف وغرس الكرم (العنب)، وبنى المكان الذي سمي: الطائف؛ لأنه طاف البلاد وسكن فيها.

ان عبارة ابن المجاور التي وردت في هذه القصة: ((فأسرَّ طمعاً فيها))، مستوحاة من ألفاظ ومفردات القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡ ﴾[سورة يوسف: ٧٧]، وقال عز وجل: ﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾[سور الرعد: ١٠]، فضلاً عن ورود هذه اللفظة في آيات قرآنية عديدة[٨]، ومعناها: أخفى وستر وأضمر في نفسه سراً.

(٤)

تحدث ابن المجاور[٩] عن سيوف الصواعق، فذكر انها ثلاثة وقيل سبعة، وقال آخرون بل هي أربعة عشر سيفاً، ضُربت أيام يافث بن نوح عليه السلام، وأسهب في وصف تلك السيوف، ثم تحدث عن أشهر أنواعها وهي اربعة أصناف: الصنعاني ويضرب في صنعاء، وهو متقدم قصير لأنه سيف الرجّالة، والكرماني قديم ضُرب أيام دولة ملوك العجم في كرمان، والإفرنجي سيف طويل؛ يُطولونه لأجل الفُرسان، والهندي منه عدة أصناف، قال ابن المجاور[١٠]: ((وأما السيوف في العالم فكثيرة الأصناف وتضرب في كل بلد وإقليم إلا هذه الأربعة الأصناف الذين ارتفعوا دون غيرهم وعرفوا من بين جنسهم ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات)).

عدَّ ابن المجاور هذه السيوف الأربعة: (الصنعاني والكرماني والافرنجي والهندي) من

(٨) [سور المائدة: ٥٢]، [سور يونس: ٥٤]، [سور يوسف: ١٩، [سور طه: ٦٢]، [سور الأنبياء: ٣]، [سور سبأ: ٣٣]، [سور التحريم: ٣]، [سور نوح: ٩].
(٩) تاريخ المستبصر ص ٢٨ – ٣١.
(١٠) المصدر نفسه ص ٣١.

أرقى سيوف العالم وأعلاها درجة أي مرتبة متقدمة، نظراً لما اشتهرت به من جودة الأداء وحُسن الصناعة، فكانت مستوياتها متقدمة على مثيلاتها الاخرى من السيوف، وعُرفت بين أصناف تلك السيوف بقيمتها العليـــا وكثرة الطلب عليها، مضمناً هذا الموضوع اقتباســاً مماورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[سورة الزخرف: ٣٢].

والدرجة هنا تعني مرتبة تفضيل شيء على شيء آخر، كما هو الحال بالنسبة الى الرسل، فضلاً عن أمور أخرى في الحياة، كما ذكر ابن المجاور هنا أنواع السيوف ومراتبها وأصنافها ودرجاتها، التي تميزت بارتفاع أي علو وتفضيـــل بعضها على بعض، وقد وردت اشارات واضحة عن هذه الامور في العديد من الآيات القرآنية الكريمة(١١).

(٥)

ذكر ابن المجاور(١٢) انه وُجد في مدينة زبيد باليمن سطر مكتوب: بَدّلنا حمل دُرْ بحمل بُر (قمح) ومامسنا ضُر والله المستعان، ووُجِدَ مكتوب أيضاً في مدينة أبي سيار من أعمال حران: طلبنا البُر بالدر (حجر كريم) فما وجدناه.

أشار ابن المجاور الى الاطلاع على كتابات فيها تبادل مادة الدُر بمادة القمح (الحنطة)، ولعلهـــا إشارة الى استخدام طريقة المقايضـــة في التبادل بين بضائع معروفـــة، وفي النص الاول إقتباس من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾(١٣)، اما عبارة ((والله المستعان))، فهي إقتباس من القرآن الكريم في قوله

(١١) قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾[سور البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾[سور الأنعام: ١٦٥]، وقال: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[سورة يوسف: ٧٦]، وقال: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[سورة المجادلة: ١١].

(١٢) تاريخ المستبصر ص٥٥، راجع: إبراهيم. مأثور الكلام العربي في كتاب صفة بلاد اليمن ص ٢٤٤.

(١٣) [سورة يوسف: ٨٨]. راجع أيضاً عن (الضرُّ): [سورة النحل: ٥٣]، [سورة الاسراء: ٦٧]، [سورة الأنبياء: ٨٣].

تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[١٤].

(٦)

تحدث ابن المجاور[١٥] عن شجر الكاذي، وهو شجر يطلع في ناحية مسجد معاذ بن جبل يشبه النخل، وهو ورد على هيئة الصَبِرة التي تُزرع في العراق والهند، لكن ورق الكاذي رقيق شبه خوص النخل ذات شوك خشن، لم ينعقد ورقه إلا من برق البرق، فإذا برق البرق طلع منه كثير بالمرة، وان لم يكن البرق لم يكن منه شيء. وهذا شيء عجيب، ويخلق مالاتعلمون.

ان وصف ابن المجاور لشجر الكاذي الذي ينبت ورقه ويكثر بسبب البرق، يدلل على قدرة الله عزوجل ومشيئته؛ لذا عدّ ذلك أمراً عجيباً، فاستشهد بمفردة من آيات الله سبحانه وتعالى، هي أنه يخلق مالايعرفه الانسان، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[سورة النحل: ٨]، فضلاً عن آيات قرآنية عديدة تبين قدرة الله على الخلق، فقد خلق الانسان والحيوان والنبات، فضلاً عن ظواهر وشواهد كثيرة جداً في الحياة، مثل خلق السموات والارض والبحار والامطار والعواصف والرياح والحرارة والبرودة والبرق والرعد... وغيرها من المعجزات والدلائل التي تبين آلائه وقدرته سبحانه وتعالى.

(٧)

قال ابن المجاور[١٦]: ((وخروج الانسان من البحر كخروجه من القبر والفرضة كالمحشر فيه المناقشة والمحاسبة والوزن والعدد، فإن كان رابحاً طاب[١٧] قلبه وإن كان خاسراً إغتم، فإن سافر في البر فهو من أهل ذات اليمين وإن رجع في البحر فهو من أهل

(١٤) [سورة يوسف: ١٨]. راجع: إبراهيم. مأثور الكلام العربي ص٢٤٤.

(١٥) تاريخ المستبصر ص ٨١.

(١٦) تاريخ المستبصر ص ١٢٨ – ١٣٠. (وعلى ص١٢٩ خارطة قديمة لطبوغرافية مدينة عدن)، راجع أيضاً: إبراهيم. مأثور الكلام العربي ص ٢٣٩.

(١٧) إلى هُنا نهاية ص١٢٨ وبعدهـــا بداية ص١٣٠، بكلمة: (قلبُهُ).

ذات الشمال. فإذا كان هذا حال المخلوق في عالم الكون والفساد مع مخلوق كذا فكيف حال المخلوق بين يدي الخالق غداً في هول العرض الأكبر اللهم لاتناقشنا ياكريم!.)).

في هذا النص وصف وتصوير دقيق لحال الانسان عندما يخرج من البحـــر، هو أشبه بخروجـه من القبر، نظراً للخطورة والصعوبة التي يواجهها في البحر، والفرضة أي دائرة إستيفاء الرسوم والمكوس (الجمرك) على البضائع التجارية، تتم فيها المحاسبة على الوزن والعدد، وهي محاسبة عسيرة فكيف حال الانسان يوم القيامة بعد موته ومثوله أمام الله سبحانه وتعالى يوم المحشر؟. عندما يُحشر أي يُجمع الناس ويُحاسبوا ويُساقوا الى مصيرهم الأخير، إما الى الجنة والخلود في دار النعيم وإما الى جهنم خالدين فيها أبداً، جزاءً وفاقاً على أعمالهم، وهذا النص مستوحىً و مُقتبس من القرآن الكريم فيما يخص الحشر يوم القيامة والمحاسبة، فضلاً عن ألفاظ ومفردات ذات اليمين وذات الشمال، فقد خصص الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز (القرآن الكريم) سورة خاصة، هي سورة الحشر، منها هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[18]، كما وردت مفردات الحشر، يحشرهم، تحشرون،...[19]، فضلاً عن ذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال في القرآن الكريم[20]، وفي هذه الآيات القرآنية الكريمة فوائد عظيمة لاتحصى من العبر والدروس والمواعظ، فضلاً عن تقويم مسيرة الإنسان في الحياة الدنيا، من خلال التمييز بين الصالحين والطالحين، وبين أصحاب القيم والمثل والمبادىء الملتزمين بقواعد وأسس دينهم الحنيف، وبين أولئك الذين غرتهم الحيـــاة الدنيا فابتعـــدوا عن الطريق القويم وسلكوا طريق الإثم والضلالة وأغواهم الشيطان، فخسروا دورهم الإنساني في الدنيا، ولم يوظفوا عقلهم في طريق الخير والعمـــل الصالح؛ للنجاة من الكبائر.

(١٨) [سورة الحشر: ٢]، راجع أيضاً: [سورة القيامة: ١ -١٦].
(١٩) عبد الباقي. المعجم المفهرس ص ٢٦٠-٢٦١.
(٢٠) [سورة الواقعة: ٨، ٢٧، ٣٨، ٤١، ٩٠-٩١].

(٨)

أشار ابن المجاور[٢١] الى تطور مدينة عدن واتساعها وانتشار العمارة والبناء فيها، في عصر سلاطين بني أيوب ونوابهم عليها، فقال: ((وكثر الخلق بها فبنوا الدور والأملاك وتوطن بها جماعة عرب من كل فج عميق)).

في النص اشارة وإقتباس من القرآن الكريم حول تطور مدينة مكة وكيف ان الناس كانت تقصدها من كل أرجاء المعمورة؛ لأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام وممارسة التجارة فيها، وفي نص ابن المجاور هذا إقتباس من القرآن الكريم وتشبيه عدن بمكة، في توافد الناس عليها للعمل في التجارة وفي البناء، وماصاحَبَ ذلك من توسع المدينة وانتشار العمارة والبناء فيها، قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[٢٢]، أي ان الناس أتوا الى مكة لأداء فريضة الحج من أماكن متباينة بعيدة وقريبة عن مكة، فضلاً عن قدوم التجار العاملين في موسم الحج اليها وخلال أيام السنة باستمرار، نظراً لموقعها التجاري ونشاطها في هذا المجال.

(٩)

انفرد ابن المجاور[٢٣] بذكر العمل بجواز السفر بالنسبة الى المسافرين المغادرين ميناء عدن، فضلاً عن الكفيل الضامن للمسافر، إذ يقول: ((ولو أراد بعض الناس الخروج لوداع مسافر من الباب لما قَدِرَ إن لم يكن معه خط جواز وضامن يضمنه بما يظهر عليه بعد وقت من مال أو عشور ويُكتب في الرقعة علامة الوالي ويخرج بعد ذلك. وان لم يكن له ضامن وإلا أخذ منادي [منادٍ] ينادي عليه في الأسواق: ان فلان بن فلان خارج من الباب فكل من له عليه شيىء يطالبه!.فإن ظهر عليه شيىء كفى الله المؤمنين القتـــال، وإن لم يظهر عليه شيىء خرج الى أي موضع شاء، كما قيل في المثل: المفلس في أمان الله)).

(٢١) تاريخ المستبصر ص ١٣٠. راجع: المصدر نفسه ص ٢٠٤ حول مدينة صعدة، إذ يقول: ((فلماً تمَّ على أهل صعدة ماتم تراجعت الخلق من كلِّ فجٍّ فعمَّر كُلّ منزلهُ ومسكنهُ وسكن فيهِ)).
(٢٢) الحج: ٢٧ ، راجع الإحالة رقم (١٠) وهامشها من بحثنا هذا.
(٢٣) تاريخ المستبصر ص ١٤٦.

النص واضح جداً وصريح بخصوص استخدام جواز السفر والعمل به في مدينة عدن وميناءها، بالنسبة للمسافر الخارج من باب البر أو باب البحر فضلاً عن الكفيل الضامن، وبخصوص استخدام الكفيل الضامن للمسافر اذا ظهر عليه شيىء بعد سفره من ديون أو رسوم... فالكفيل هو الذي يتكفل تسديد ماعلى المسافر، أما بالنسبة الى الغرباء المسافرين ممن ليس لديهم كفيل يعرفهم، فالطريقة هي المناداة بسفر فلان بن فلان في الاسواق فكل من له عليه شيىء يطالبه به قبل سفره، وقد يؤدي ذلك الى منعه من السفرإلا بعد أداء مابذمته من حقوق، لذا استشهد ابن المجاور بقوله تعالى: كفى الله المؤمنين القتال، اي عدم الوقوع في مشكلات جراء سفره دون محاسبة وتدقيق، أما من لم يظهر عليه شيىء فبإمكانه السفر الى أي مكان يشاء، كما قيل في المثل: المفلس في أمان الله، وقد وردت صيغة التضمين من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[٢٤].

(١٠)

وصف ابن المجاور[٢٥] أوضاع عدن أواخر العصر الأيوبي في اليمن وبداية عصر بني رسول بالفوضى والاضطراب، وروى ان عدن تخرب سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م، مستدلاً على ذلك بدخول أول أمراء بني رسول اليها وحكمها، وهو نور الدين عمر بن علي بن رسول الذي أشاع الرعب والخوف بين سكانها، فضلاً عن سيطرته على مقدراتهم الاقتصادية وتحكمه بحياتهم ومعيشتهم؛ بسبب احتكار بعض المواد التجارية وبيعها بأسعار عالية، اذ يقول: ((وكانت الايام شبه أيام المحشر كل منهم ينادي أين المفر؟.)).

في نص ابن المجاور تشبيه بيوم المحشر ومايصاحبه من خوف ورُعب وهَول، في ذلك المشهد الذي يقف فيه الانسان بين يدي الخالق العظيم ، ويجري تقويمه من خلال أعماله فتوزن حسناته مقابل سيئاته، وماورد في هذا النص هو إقتباس من آيات القرآن الكريم، في

(٢٤) [سورة الأحزاب: ٢٥]. راجع عن القتال ومفرداتها: عبد الباقي. المعجم المفهرس ص ٦٨٠.
(٢٥) تاريخ المستبصر ص ١٤٧.

قوله عز وجل: ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾[٢٦].

(١١)

تحدث ابن المجاور[٢٧] عن مسجد الجَنَد وفضائله، ومنها زيارة الناس له سنوياً في أول جمعة من شهر رجب، وروى ان صفي الدين حاتم بن علي بن محمد بن المعلم، أخذ أبرة مسمومة وغرز فيها خيطاً مسموماً، وصار يغرز الابرة في جوانب البطيخة ويجرها والخيط معاً، وجاء بها الى السلطان سيف الاسلام طغتكين بن أيوب وهو قائم على بناية المنصورة فجلا سكيناً فوق البطيخة ليأكل منها، فتناول منه سيف الاسلام البطيخة فقطع وأكل وشعر بالشر، فقال لعلي بن حاتم: الله المستعان على ماتصفون[٢٨]، فقال له: كل يامولاي ماهو إلاّ خير، وغاب الشيخ حاتم بن علي بن محمد بن المعلم من ساعته، فأوجعه فؤاده ومات.

روى ابن المجاور عن عبد الله بن محمد، قال انه كان يقرأ في النزع (اللحظات الأخيرة قبل موته): ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾[سورة الحاقة: ٢٨-٣٢]، الى تمام الآية.

وروى ابن المجاور[٢٩] عن رجل من آل الصليحي قال: انه قرأ: ﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾ [سورة الهُمَزة: ٢ -٩]، وصار يكررها الى ان مات، وبقيت البناية على حالها الى وفاة الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب، فأعادَ الأراضي إلى أصحابها.

في رواية وفاة السلطان طغتكين بن أيوب، إقتبس ابن المجاور عدداً من آيات القرآن

(٢٦) [سورة القيامة: ١٠ -١٢]، راجع: [سورة الحشر: ٢].
(٢٧) تاريخ المستبصر ص ١٦٦.
(٢٨) [سورة يوسف: ١٨]، والآية الصحيحة: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾. راجع إحالة رقم (٢١) وهامشها من بحثنا هذا.
(٢٩) تاريخ المستبصر ص ١٦٦ -١٦٧.

الكريم في ثلاث سور؛ بهدف العبرة والموعظة، وكيف أن هؤلاء السلاطين أصحاب القوة والثروة يلاقوا مصيرهم المحتوم وهو الموت، وبذلك لاينفعهم مالهم الذي جمعوه بشتى الطرق والوسائل غير الشرعية، بل سوف يخلدهم في النار، فيندموا على ماجمعوا من تلك الأموال التي حرموا الناس منها وظلموهم شر الظلم، بمصادرة حقوقهم وحرمانهم من أبسط مستلزمات العيش والحياة.

(١٢)

تحدث ابن المجاور[٣٠] عن صفة صنعاء وشهرتها بالفواكه والثمار المتنوعة، وأضاف أن اهلها أي سكانها فيهم خليط من نسل العجم خرجوا من الحبوس والقيود في دولة يزدجرد بن شهريار بن بهرام، ويقال كسرى بن قباذ مع سيف بن ذي يزن لتحرير اليمن من الأحباش، ثم قال: ((وحكايتهم مشهورة مذكورة في كتاب مسطور)).

وهذا النص فيه إقتباس من القرآن الكريم، في قوله عز وجل: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾ [سورة الطور: ١ -٣]. أي أن تاريخهم مشهور مدون في كتاب مسطور، أي في روايات منتظمة موثقة في صدور الناس وذاكرتهم، ثم في المؤلفات المدونة على لسان الرواة وأهل الأخبار؛ لتوضيح الصراع بين الفرس والأحباش من أجل السيطرة على بلاد اليمن؛ للإفادة من موقعها التجاري على طرق المواصلات العالمية والتحكم بمقدراتها.

(١٣)

روى ابن المجاور[٣١] حديثاً عن منصور بن محمد الواسطي حول ظهور قضبان تسمى: شوحط في أعمال تعز وصنعاء، اذا أُشعل رأس القضيب اشتعل شبه الشمع وهي تُستخدم عوضاً عن السراج والفُتَل، وأضاف أن هؤلاء القوم مأكولهم الحنطة والحلبة واللحم صيفاً وشتاءً، وسفرهم الى عدن وشراؤهم العُطب والعطر والهندوان، وغاية اشتغال القوم في

(٣٠) تاريخ المستبصر ص ١٨٥ -١٨٦.
(٣١) تاريخ المستبصر ص ١٩٢.

معرفة الجواهر وعلم الكيمياء وعلم النجوم والنحو والمنطق والفلسفة والهيئة والهندسة وحساب الضرب والجُمَل، وأضاف قائلاً: ((وقوم يدعون الحكمة وفصل الخطاب)). وبناؤهم بالحجر القديم.

في النص إقتباس من القرآن الكريم في وصف النبي داوُدعليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾[٣٢] ، وهذا يعني أن هؤلاء القوم كان لهم اهتمام كبير بالعلم والعمل من خلال إشتغالهم بالعلوم المتنوعة المذكورة أعلاه، فوصفهم ابن المجاور بأنهم قوم يدعون الحكمة وفصل الخطاب، أي لهم عقول تعمل بهدف الاطلاع على أسرار العلوم والافادة منها وتسخيرها لخدمة البشرية.

ووصف ابن المجاور[٣٣] سكان مدينة صعدة، بأنهم قوم أخيار يَدَّعون الحكمة ومعرفة الجواهر والعلوم العُلوية، وهم على مذهب الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالبعليه السلام، وهم أصل القوم ومقدميهـــم في المذهب الزيدي، ونستنتج من النص أن هؤلاء القوم سخروا عقولهم في العلم والمعرفة، بسبب مؤهلاتهم العقلية التي وظفوها في دراسة علوم الطبيعة لخدمة الانسانية.

(١٤)

تحدث ابن المجاور[٣٤] عن مساكن شداد وعاد والتبابعة الجبابرة، ووصف بناؤهم بالحجر والرخام والرصاص، وبعضها حُفرت في الجبال أي نُقرت (نُحتت)، كما قال الله عزَّ وجّلْ: وتنحتونَ[٣٥] من الجبال بيوتاً آمنين، فلما كفروا بنعمة الله عزوجل خُسِفَ بهم وتفرق شملهم وتشتتوا في الأقاصي، فأصبحت الدور قبور، والمساكنُ مساكنَ فارتدمت بعضها على بعض، وتقُلعت النخيل والأشجار، وطلع بدلاً منها العُشر والأراك (الشوك)،

(٣٢) [سورة ص: ٢٠]، راجع عن الحكمة في القرآن الكريم: عبد الباقي. المعجم المفهرس ص ٢٧١.
(٣٣) تاريخ المستبصر ص ٢٠٦.
(٣٤) المصدر نفسه ص ٢٠٠ -٢٠١.
(٣٥) ونص الآية الصحيحـــة: ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴾. [سورة الشعراء: ١٤٩].

وسكنت البدو في بيوت الشعر، وصارت الإبل ترعى بين عامر الخراب وتشرب ظباؤها من الندا والسراب لبئس الشراب، وساءت مُرتفقا.

تضمن النص الأخير لإبن المجاور إقتباساً من القرآن الكريم في وصف حال هؤلاء الكافرين الظالمين، وكيف ان الله سبحانه وتعالى يعذبهم عذاباً أليماً كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[٣٦]، وفي هذه الآية الكريمة وصف واضح جداً لمصير الكافرين الظالمين وقد شَبَّهَ ابن المجاور قوم شداد وعاد والتبابعة بهؤلاء الذين وصفهم القرآن الكريم في حالهم المأساوي بعد موتهم، جزاءً وفاقاً على كفرهم وظلمهم وكيف انتقم الله منهم، من خلال هذا الوصف الواضح في القرآن الكريم وفي نص ابن المجاور أيضاً.

(١٥)

روى ابن المجاور[٣٧] عن مُحدثهِ هشام بن مسعود النجراني، ان هنالك طريق قديم يسمَّى: طريق الرضراض يصل الى الكوفة مما يلي ظَهرِاليمن، ويقال انه يصل الى البصرة، وكان أهل اليمن يسافرون فيه على الحمير وعليهم الأديم الى إحدى هاتين المدينتين (البصرة والكوفة)، مرتين في العام، ولما سأل ابن المجاور محدثهِ: على أي الأماكن كان مسلكهم؟. قال: ((على اليمامة والحساء [الإحساء] والبصرة، قلت: ومتى كان عهدكم بعمرانه؟. قال: سنة عشرين وخمسمائة [٥٢٠هـ/ ١١٢٦م])). وقال: [بسيط]:

لما رايت سُلوي غير متجهٍ
وأنَّ غَرْب شِفاري عادَ مفلولاً
دخلتُ بالرغم مني تحت طاعتكم

(٣٦) [سورة الكهف: ٢٩]، راجع عن مفردات: ساء وساءت: عبد الباقي. المعجم المفهرس ص ٤٦٧، وعن: الشراب ص ٤٧٩.

(٣٧) تاريخ المستبصر ص ٢١٧، راجع أيضاً: ابراهيم. رحلة مع أشعار الغربة والحنين الى الأوطان ص٤٣.

ليقضي الله امراً كان مفعولاً

في عجز البيت الثاني اقتباس من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[٣٨] ويبدو أن ابن المجاور استشهد بهذين البيتين من الشعر إما نقلاً عن محدثه النجراني، او أنه –كعادته –يستشهد بالشعر دون مقدمات أو تسمية الشاعر في أغلب الأحيان، ويسبق ذلك فجأة بكلمة: قال، ثمَّ يذكر بحر الشعر، كما ذكره هنا وهو: البسيط، وهكذا يتضح لنا أن ابن المجاور كان حريصاً كل الحرص على إيراد العبارات والمفردات من القرآن الكريم، لكي يضمنها قصصه وحكاياته وروياته، وهذه المرة الوحيدة التي يستشهد ببيت شعر فيه اقتباس من القرآن العظيم.

(١٦)

أشارَ ابن المجاور[٣٩] إلى أن الكرم من خصائص العرب، ويقال أن أول من أطعم الكِسرة (كِسرة الخبزة)، هو ابراهيم الخليل عليه السلام فهي سُنته، وروى أن أصحاب الأعراف هم ثلاثة: ابو طالب لتربيته رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنو شروان لعدله، وحاتم الطائي لكرمه.

تضمنت رواية ابن المجاور هذه إقتباساً من القرآن الكريم حول أصحاب الأعراف الذين وصفهم الله عزوجل ، بقولهِ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٤٠].

تتضح لنا مما ذكره ابن المجاور مكانة أهل الكرم ومنزلتهم الفائقة، وأول روادهم سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، فهو أول من أطعمَ كِسرة الخبز، وأصبحت سُنّتُهُ أي طريقته وشهرته في زمانه، فضلاً عن بيان مكانة أهل الأعراف الوارد ذكرهم في القرآن الكريم،

(٣٨) [سورة الأنفال: ٤٤، ٤٢]. راجع ايضاً: [سورة النساء: ٤٧]، [سورة الإسراء: ٥، ١٠٨]، [سورة المزمل: ١٨]، عبد الباقي: المعجم المفهرس ص ٦٦٦.
(٣٩) تاريخ المستبصر ص ٢٢١.
(٤٠) [سورة الأعراف: ٤٦ –٤٨]، راجع: إبراهيم. مأثور الكلام العربي ص٢٤١.

ولعل لمآثر هؤلاء وحُسن صنيعهم بسبب شُهرتهم بالكرم، فضلاً عن تربية أبي طالب للرسول الكريم محمدﷺ أثره في تخليد ذكراهم، فالكريم قريب من الله تعالى قريب من الجنة قريب من الناس.

(١٧)

روى ابن المجاور[٤١]. حكايةً عن ذِمام العرب مفادُها ان دعبل بن علي الخزاعي هجا المطلب بن عبد الله الخزاعي بشعر، فلقيه المطلب في طريق فقال له: سِرْ معي الى منزلي!. فذهب معه، فلما دخل دعبل قال المطلب: والله لأقتلنك شر قتلةٍ، فقال له دعبل: لاتقتلني وانا جائع أشبعني وافعل ماشئت ستجدُني إن شاء الله منَ الصابرين، فقال له المطلب: ماأحسن ماطلبت النجاة!. إن اطعمتُكَ وَجَبَتْ الحُرمة، وإن لم أُطعمُكَ بخلتُ أيَ بُخلٍ، فقال دعبل: والله لاذكرتك بعدها بسوء أبداً، فأطلقهُ وأحسَنَ جائزتُهُ.

يتضح لنا من هذه الحكاية الطريفة كيف ان الشاعر دعبل الخزاعي أحسَن التصرف بكسب عدوه وتهدأته من روعه وغضبه، باسلوب جميل، وورد في القصة إقتباس من القرآن الكريم في قصة النبي إبراهيمعليه السلام مع إبنه إسماعيلعليه السلام، وكيف انه رأى في المنام أنه يذبحه، فاستجاب اسماعيل لطلب والده ابراهيم طاعة له، لكن الله فداه بكبش عظيم، كما في قوله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[سورة الصافات: ١٠١ –١٠٢]، ولعل ماورد من قول دعبل الخزاعي مع غريمه المطلب الخزاعي كان سبباً في العفو عنه، إذ طلب دعبل من المطلب أن يشبعه لأنه جائع ثم يقتله، وهذاغير ممكن أن يطعم العربي ضيفه ثمَّ يقتله، لأنَّ ذلك ليس من شيم العرب وذمامهم، فمن يطعم ضيفه يحرم عليه قتله، وإن لم يطعمه يوصف بالبخل والعرب تأبى أن توصف بهذه الصفة الذميمة؛ لذلك أطلق دعبل وأكرمه، وفي هذه القصة كثيرٌ من العبر والدروس والمواعظ ، التي تؤكد ذِمام العرب و عدم غدرهم وعدم إقدامهم على قتل عدوهم إذا كان في بيتهم

(٤١) تاريخ المستبصر ص ٢٢٤ –٢٢٥، راجع بحثنا: مأثور الكلام العربي ص ٢٤٢.

وفي ضيافتهم؛ لأنَّ الكرم يوجب الحُرمة، ومنها حرمة القتل.

(١٨)

روى ابن المجاور[٤٢] أن سقاءً نزل بئراً في طريق مكة يُبرح منه الماء في الدِلاء لقلَّته، فرحل الحاج على غفلة وبقي السقاء في مكانه ثلاثة أيام بلياليها، وبعد انتهاء هذه الأيام قدم رجل من وجوه العرب فأدلى دلوه، فنظر الأعرابي السقاء في قرار البئر فاستقى وسقى حصانه وشرب، وإستخرج السقاء من البئر وأردفه وراءه وسار به غير بعيد، الى أن وصل خبت قفر ليس به مما خلق الله عزوجل من المخلوقات، سوى بيتِ شَعرٍ فيهِ رجلٌ وزوجتُهُ فأكرَموهُ.

في رواية ابن المجاور هذه إقتباس من القرآن الكريم في عبارة: فأدلى دلوه، أي أنزل الدلو في البئر، كما تأتي بمعنى أبدى أو عرض وجهة نظره، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة يوسف: ١٩].

وهذا النص منقول عن سورة النبي يوسف عليه السلام وقصته المشهورة مع اخوته، وماتحمله من العبر والدروس البليغة التي تبين قدرة الله عز وجل وإرادته في حماية أنبيائه ورسله الى بني آدم.

(١٩)

وصف ابن المجاور[٤٣] الجراد النجدي بأنه لايأكل الحشائش ويشم أطيب الأهوية ويشرب أطيب المياه ويتربى في أطيب الأمكنة، ويرجع دواء لكل داء، وروى أنه يظهر في نجد من أعمال تسمى: الدهناء، والموضع هو مشرق البحر، وقيل بل هو يخرج من البحر بإذن الله تعالى عز وجل، قال ابن المجاور: ((وهو قريب من المن والسلوى ينزل على شجر الزيتون بجبال الروم وغيرها. والسلوى هو طير يجيىء الى دمياط على وجه الأرض)).

(٤٢) تاريخ المستبصر ص ٢٢٥.
(٤٣) تاريخ المستبصر ص ٢٢٧ -٢٢٨، راجع: إبراهيم. أشعار الحكم والمواعظ ص٨٠.

وشَبَّهَ ابن المجاور طير السلوى بالجراد النجدي من حيث أوصافه التي ذكرها أولاً فهو طيب في الأكل والرائحة.

تضمن نص ابن المجاور إقتباساً من القرآن الكريم في قصة النبي موسى عليه السلام مع بني اسرائيل، قال تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٤٤].

(٢٠)

وفي حديث ابن المجاور[٤٥] عن جزيرة فَرسان، حدد موقعها بين جزيرة وهلك وحلى ابن يعقوب في البحر الأحمر، وأشار الى نِعَم الله سبحانه وتعالى التي خص بها أهل الجزيرة، فبعد طلوع الشمس يدوي الجو بطيور كثيرة تصطف على شاطىء البحر، وتنزل على السكان بعد ساعة طيور تشبه الخُرُق، ويقال تشبه السُمان، يبلغ عددها زهاء مائة ألف طير!. وعند نزولها على شاطىء البحر لاتستطيع الطيران فتأخذ الناس كفايتها منها في الذبح والطبخ، ويتصف هذا الطير بغزارة لحمه وشحمه ولايمل الناس منه؛ بسبب لحمه الخفيف الطيب المريء، وقد سأل ابن المجاور عنه بقوله: ومايسمى؟-والحديث الى بدر مولى بشر الصوفي -، قال: السلوى، وهو الذي قال الله عزوجل فيه: وأنزلنا عليهم المنَّ والسلوى[٤٦]، فقلت للراوي: كم يكون دَور الجزيرة؟. قال: مسيرة يوم كامل لرجل طرّاد، أي رجل فارس يمتطي جواداً، وفي حديث ابن المجاور اقتباس من القرآن الكريم تمَّ تخريجه وتوثيقه، يتعلَّق بقصَّة النبي موسى عليه السلام مع بني إسرائيل -كما ذكرنا.

(٤٤) [سورة البقرة: ٥٧]، راجع أيضاً عن (المن والسلوى): [سورة الأعراف: ١٦٠]، [سورة طه: ٨٠]، عبد الباقي. المعجم المفهرس ص ٤٥٤.

(٤٥) تاريخ المستبصر ص ٢٤٤.

(٤٦) [سورة الأعراف: ١٦٠]، وتخريج الآية كاملة: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.

(٢١)

تحدث ابن المجاور[٤٧] عن الأسماء التي يسمي الناس بها أبناءَهم، مقترنة بصفات وآلاء الله سبحانه وتعالى، لكن بصيغة المبالغة، ففي رواية أنَّ رجلاً من الحاكة رُزق ولداً، فقيل له اختر له كنية، فقال: كنوه عبد رب السموات السبع ورب العرش العظيم[٤٨] فقال له الرجل: ابن من؟. قال: ابن عبد الكريم [الله] الذي يُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه[٤٩]، فقال: مرحباً يانصف القرآن.

وأعجبُ من ذلك أن رجلاً من العجم مسكنه أذربيجان سمى ابنه عَبدُ من الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه[٥٠]. وهكذا يتضح لنا أن هذه الأسماء الطويلة أُطلقت على خلق الله من عباده، فهم عبيده لأنه خالقهم، ومع ذلك فهي أسماء طويلة فيها مبالغة واضحة جداً، بقصد التقرب الى الله سبحانه و تعالى، فقد ذكر ابن المجاور حديثاً عن منصور بن المقرب بن علي الدمشقي، حول أذربيجان أن أصل أهلها عبيد وموالي؛ لذلك فيهم حماقة وكِبْر خارج، ونفوسهم شحيحة وهمتهم قليلة، وماذكره ابن المجاور في روايتيه عن كنية المولود واسم الوَلَد في أذربيجان، المقترنين بكنى وأسماء الله عزَّ وجلّ، هما مقتبسان من القرآن الكريم في الآيتين اللتين تمَّ تخريجهما.

(٢٢)

روى ابن المجاور[٥١] في حديثِه عن بناء مدينة قلهات، أن أول من سكن الساحل في قلهات الصيادون، وهم قوم ضعفاء يترزقون الله، ثم تكاثر القوم واستأنسوا، وسكن من جملة الصيادين شيخ من مشايخ العرب اسمه: مالك بن فهم، كان له دور كبير في

(٤٧) تاريخ المستبصر ص ٢٥٥.

(٤٨) ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [سورة المؤمنون: ٨٦].

(٤٩) ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[سورة الحج: ٦٥].

(٥٠) ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[سورة الزمر: ٦٧].

(٥١) تاريخ المستبصر ص ٢٧٢ – ٢٧٤ (بين الصفحتين ص٢٧٣ مخطط مدينة قلهات).

تطور مدينة قلهات ونشاطها التجاري، فقد أدار عليها سوراً من الحجر والجص ودخلتها المراكب من كل فج وخور وسائر الجهات، وبمرور الزمن أصبحت المدينة ذات مكانة وهَيبة عظيمة.

في رواية ابن المجاور استشهاد و إقتباس من القرآن الكريم في كلمة: فج، التي وردت في الكتاب العزيز، وكلمة فجاج تعني: المسالك والطرق التي توصل بين الأماكن(٥٢). وجاءت في وصف مكة التي قصدها الناس من كلِّ فجٍّ عميق -كما ذكرنا.

(٢٣)

وصف ابن المجاور(٥٣) الطريق من المنصورة الى عدن راجعاً ، بدءاً من المنصورة الى ريسوت، وذكر خروج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لمواجهة الخوارج بالنهرين، فكسرّهم وَرَكَّبَ عليهم السيف، ومازال يقتل فيهم الى أن أفنى الجميع، وَرَدَّ البغلة الى القنطرة فوقعت البغلة على نصف القنطرة.

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: أنظروا مَنْ تحت القنطرة!. فإذا هم بـ: أبي الثديين، فقال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: جاء الحق وزهق الباطل أسلِم تسلَم، فقال: كيف أُسلِم والبغلة تعلم علم الغيب أني تحت القنطرة؟. فحينئذٍ جَرَّد علي بن أبي طالب عليه السلام السيف وضرب عنقه وهرب من سلم من القوم.

في هذه القصة إقتباس من القرآن الكريم في قول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: جاء الحق وزهق الباطل، ويقصد بالحق هنا الإيمان والإسلام والتوحيد، والباطل هو الكفر والشرك والظلال، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(٥٤).

(٥٢) راجع عن كلمة: فج، [سورة الحج: ٢٧]، و بخصوص كلمة فجاج، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[سورة الأنبياء: ٣١]، وقال: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾[سورة نوح: ١٩ -٢٠]، راجع: عبد الباقي. المعجم المفهرس ص ٦٥١.

(٥٣) تاريخ المستبصر ص ٢٧٥ -٢٧٦.

(٥٤) [سورة الإسراء: ٨١]، راجع: عبد الباقي. المعجم المفهرس ص ١٥٧.

ومعنى ذلك أنَّ الإسلام والإيمان هما المنتصران على الكفر والشرك، وهو انتصار الحق على الباطل.

(٢٤)

ذكر ابن المجاور[٥٥] مافعل ملك جزيرة قيس (كيش) في البحر العربي ومافعل معهُ صاحب مكران، الذي أرسل الملك تاج الدين أبو المكارم بن الحسن وابن الحسين كهرو، بمال جزيل فاشتريا له من مسقط حصاناً قيمته ألف مثقال، ورُكب (نُقل) الحصان في مركب إجتاز به من بر العرب الى بر العجم، فلمّا علِمَ بخبر الحصان ملك قيس أرسلَ عدة مراكب (دوانيج وبومات) قطعوا عليه طريق البحر وصادروا الحصان.

ولما سمع تاج الدين أبو المكارم قصة الحصان أخذ مراكب السُرّاق ومَيّلها على منادخ القيسي، وقال لهم: ((كل مركب ترونه لصاحب قيس خذوه أخذ عزيز مقتدر!.))، فأخذوا من ذلك الموسم إثني عشر مركباً موسوقاً من مختلف الأمتعة والطُرُف والتحف والأموال، وهذا يعني أن صاحب مكران ألحقَ الضرر بصاحب جزيرة قيس وطالب بمصادرة أي مركب له وأخذه أخذ عزيز مقتدر، إقتباساً من القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[سورة القمر: ٤١ -٤٢].

كان من نتائج مصادرة ملك جزيرة قيس للحصان الذي اشتراه صاحب مكران، أن الأخير استطاع مصادرة إثني عشر مركباً لصاحب جزيرة قيس بما تحمل من البضائع الغالية، مما إضطر الأخير أن يرسل الى الملك تاج الدين أبو المكارم صاحب مكران رسولاً يقول له: ((قُل الحمدُ للّه على نعمهِ والله المستعان على أهل هذا الزمان، كيف رجع الملوك سُرّاقاً يقطعون طرق البحر على سُلاكه؟.))، فقال تاج الدين للرسول: ((والله ماعلمني قطع الطريق إلا ملككم)). ونجد في كلام رسول ملك جزيرة قيس إقتباساً من القرآن الكريم في عبارة: والله المستعان، إذ وردت في الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[سورة يوسف: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿ قَـٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ

(٥٥) تاريخ المستبصر ص ٢٩٨ -٢٩٩، راجع أيضاً: إبراهيم. أشعار الحكم والمواعظ ص٨٤ -٨٥.

مَاتَصِفُونَ ﴾[٥٦].

لقد تضمنت هذه القصة نَصيَن من القرآن الكريم إقتبسهما ابن المجاور في أسلوبه النثري الخاص، وربما نقلهما من حكاية الرواة نقلاً عن تاج الدين أبو المكارم صاحب مكران، ثم نقلاً عن رسول صاحب جزيرة قيس الذي بعث برسالة الى صاحب مكران حملها إليه.

مصادر البحث ومراجعه:

القرآن الكريم.

- ابراهيم. أ. د. محمد كريم (الشمري).

١. أشعار الحِكَم والمواعظ والعبر والـدروس في كتاب: صفة بلاد اليمن... (تاريخ المستبصر) لابن المجاور البغدادي النيسابوري، مجلة التواصل، العدد: ١٠، إصدار: نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة عدن، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر، (عدن، يوليو ٢٠٠٣م).

٢. رحلة مع أشعار: الغربة والحنين الى الأوطان والتغني بالمنازل والديار والخلان (في كتاب: تاريخ المستبصر) لابن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، مجلة التواصل، العدد: ٨، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر، (عدن، يوليو ٢٠٠٢م).

٣. مأثور الكلام العربي في كتاب: صفة بلاد اليمن... (تاريخ المستبصر) لابن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، مجلة اليمن، العدد: ٢٠، إصدار: مركز البحوث والدراسات اليمنية بجامعة عدن، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر، (عدن، شوال ١٤٢٥هـ/ نوفمبر ٢٠٠٤م).

- ابن المجاور البغدادي النيسابوري، ابو بكر بن محمد بن مسعود بن علي (المجاور) بن احمد، (ت٥٠د: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

٤. صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسماة: تاريخ المستبصر، قسم ١ -٢، اعتنى

(٥٦) [سورة الأنبياء: ١١٢]، راجع عن (تَصِفون): عبد الباقي. المعجم المفهرس ص ٩١٩.

بتصحيحها وضبطها: أوسكر لوفغرين، مطبعة بريل، (ليدن: ١٩٥١، ١٩٥٤م).

- عبد الباقي، محمد فؤاد.

٥. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، منشورات ذوي القربى، الطبعة الثالثة، مطبعة ظهور، (قم، ١٣٨٤هـ).